حجاجية الصورة في شعر علي الإمارة

الباحثة : هدى حسن طعمة

أ.م . د . مرتضى عبد النبي علي

جامعة البصرة – كلية التربية – القرنة – قسم اللغة العربية

ملخص البحث:

يعالج هذا البحث موضوع حجاجية الصورة في شعر علي الإمارة اعتماداً على توظيف الصورة البيانية (التشبيه و الاستعارة و الكناية) لما له من أثر حجاجي قائم على محوري الحجة والإقناع قاصداً التأثير في المتلقي ؛ لغرض البحث عن القيمة الجمالية للصورة الحجاجية .

الكلمات المفتاحية : حجاجية ، الصورة ، بلاغة ، نقد حديث .

The engima of the image in Ali Al- Amara 's poetry

Researcher: Hoda Hassan Tohme
Assist.Prof.Dr. Murtadha Abdul Nabi Ali
Dept. of Arabic Language, Qurna - College of Education,
University of Basra

Abstract:

This study deals with the engima of the image in Ali Al- Amara 's poetry, depending on the manipulation of the rhetorical image (simile , metaphor ,and metonymy) due to its engimatic effect on both sides : argument and persuasion. the aim is to see the effect on both reader and recipients in order to search for the aesthetic value of engimatic image.

Key words : Pilgrimage, image, eloquence, modern criticism .

المقدمة

الحمد لله الذي نورَ الكون بخاتم النبيين المبعوث بالرسالة الصادقة،ملهم العلم والنور على يدي أفضل الخلق محمد رسول الله(صلى عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم).

وبعد....

تعدّ الصورة قلب البلاغة في أداء وظائفها الفنية، ومحور اهتمام مبدع النص ومتلقيه ، وقد عمد البحث إلى الاعتماد على الحجاج في ضوء الاستعانة بالصور البلاغية البيانية، وتعدّ نقطة التقاء بينهما هو (المتلقي) ؛ لغرض إقناعه وهذا بدوره يعمل على تحقيق جمالية النص البلاغي، وإظهار مدى فاعلية المنهج الحجاجي في الكشف عن الحوار، كون حجاجية الصورة في النص تمتلك القدرة الهائلة على الإذعان إلى ذلك التأثير ، فهي فعلاً تعطي للخطاب الشعري قدرته على التأثير، والتفاعل مع المتلقي ، والقدرة على الاستمرار في هذا التأثير .

ومن هذا المنطلق نجد الدور الأكبر للصورة الشعرية في منطلقاتها المختلفة تعبر عما هو ذو طابع حجاجي في مستوياته الفنية بما تحمله من دلالات جمالية مختلفة لتحقيق دور جمالية الصورة في ظل طابعه الحجاجي الإقناعي .

وقد شكلت مادة الصورة البيانية تشكيلاً حجاجياً حتمت علينا دراستها دراسة حجاجية لإظهار جمالية الصورة بوصفها إحدى آليات الصورة الحجاجية التي لجأ إليها لتحقيق الوظيفة الجمالية للنص ولتضفي عليه قوة حجاجية عالية ، ومن ثم للتأثير في قارئ النص .

حجاجية الصورة :

تعدّ الصورة البيانية من أهم الوسائل الحجاجية وإحدى آلياته المهمة في استعمال العبارات

المؤثرة في تحقيق جمالية الصورة ، فقد كانت ((الصورة الدعامة الأساسية لها لما لها من دور حجاجي فعال في الخطاب ، بل وقد تكون أقوى من أي آلية حجاجية أخرى خاصة أنَّها

تعضدها في كثير من الأحيان وتضيف إليها وتعمل على تكثيفها ، وربما كل ذلك يجعلنا نقول إنَّ حجاجية الصورة هو ما أعطاها شرعية الانتماء إلى البلاغة))[١]، وأنَّ من أهمّ وظائف الصورة هي ((الاستدلال والحجاج وأنَّ الوظيفة ناشئة عن البنية الاستدلالية للمجاز))[٢]، فقيمة الصورة الحجاجية تعود إلى أنّه ((إذا تضمن الحجاج علاقة استدلالية ، فينبغي إذن ردها إلى العلاقة المجازية))[٣] ، وعلى ذلك يمكن القول إنّه ((لا حجاج بغير مجاز))[٤] .

إنَّ الغاية من الصورة الحجاجية هي إبراز قوة المتكلم في التأثير بالمتلقي، مستعملاً تقنيات الصورة وأحياناً يحتاج إلى مؤثرات من اختيار المفردة ذات إيحاء وتأثير ، أو إخفاء بعض العناصر حتى يبحث المتلقي عنها ومدى قدرة المتلقي على تلقي الحجة واستيعابها ، ويعد ذلك ((خطوة أولية في عملية الإقناع ، ذلك أنَّه يريد إمتاع الآخرين بمعنى من المعاني بشرحه في بادى ذي بدء ويوضحه توضيحاً يغري بقبوله والتصديق به ، وهو ما قصده القدماء بـ(الإبانة) وسمو العلم الذي يحوي التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز بعلم البيان ؛ لأنّ كل هذه الأنواع البلاغية للصورة ، إنّما هي طرائق خاصة في التدبير تكسب المعاني فضل إيضاح أو بيان ، وأساليب احتجاج فرعية))[٥].

يلجأ المتكلم في كثير من الأمور إلى استحضار بعض الصور البلاغية التي توقع في نفس السامع إعجاباً واهتماماً يؤدي إلى خلق أثارة لدى المتلقي ويحدث نوعاً من التوافق وهذا التوافق يعد خطوة من خطوات الصورة الحجاجية ، ومن ثم فإنَّ هذه الصورة البلاغية التي يعمد إليها الباث تعد آليات حجاجية يلجأ اليها الشاعر علي الإمارة من أجل إقناع من يعارضه في الراي أو من إقناع المقابل له[٦]، فأهمية الصور البلاغية كصورة حجاجية تكمن فيما ((توفره للقول من جمالية قادرة على تحريك وجدان المتلقي والفعل فيه فإذا انضافت تلك الجمالية إلى حجج متنوعة وعلاقات حجاجية تربط بدقة أجزاء الكلام ، وتصل بين أقسامه أمكن للمتكلم تحقيق غايته من الخطاب ، أي قيادة المتلقي إلى فكرة ما أو رأي معين ومن ثمة توجيه سلوكه الوجهة التي يريدها له ، أي أنَّ الحجاج لا غنى له عن الجمال ، فالجمال يرفد العملية الإقناعية ويسير على المتكلم ما يرومه من نفاذ إلى عوالم المتلقي الفكرية والشعورية والفعل فيها))[٧].

وعليه فالصورة البلاغية ((لم تعدّ ... محسناً بيانياً أو مكوناً لفظياً أو عنصراً جمالياً فقط ، بل أصبحت وسيلة إجرائية ضرورية في مجال الإقناع والتأثير والحوار البوليفي ، أي تحولت الصورة البلاغية أو البيانية إلى سلطة أو قوة حجاجية واقناعية وتأثيرية كبرى ، بل أصبحت مدخلاً لكل الخطابات ...والأنواع والأنماط القولية ... لا يكن الاستغناء عنها مهما حاولنا فعل ذلك))[٨] .

وعلى ذلك نستدرج أهمّ الصور البلاغية التي تعدّ من أهمّ الوسائل البيانية التي تساعد البلاغي على الولوج فيها التي شغلت شعر شاعرنا التي بدت واضحة كاشفة عما ابتغاه علي الإمارة من غايات ودلالات وما يهمنا من هذه الصور البيانية هي التشبيه والاستعارة والكناية التي تعد من آليات الحجاج الفائقة التي تميزت بقدرتها العالية على إظهار بلاغة الصورة الحجاجية .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٥ – كانون الأول لسنة ٢٠٢٠

أولاً :- حجاجية التشبيه

التشبيه هو ((لون بلاغي تقرب به المعنى من المتلقي بتوظيف عناصر مكونات من بيئة ، وما يحيط به ، حتى يبدو الخطاب أكثر وضوحاً ونفاذاً إلى القلوب والعقول))[٩]، فهو ((من أشرف كلام العرب وفيه تكون الفطنة والبراعة عندهم ، وكلما كان المشبه منهم في تشبيهه ألطف كان بالشعر أعرف وكلما كان بالمعنى أسبق كان بالحذف أليق))[١٠].

أما بالنسبة لمهمة التشبيه فإنَّها لم تقتصر على ((الوظيفة الجمالية الزعفرانية أو الوظيفة البيانية ، بل دخل ضمن النظرية الحجاجية كأسلوب فعال لا غنى عنه ، يعطي للكلام سلطة اقناعية وقدرة على الإيمان بالأفكار المعروفة والسكوت أمامها ، فهو اذعان واعتقاد بفكرة خارجة عن الإطار اللغوي مكتشفة بإعمال العقل))[١١].

هذا ويرى ((بيرمان أنَّ الحجاج لا يمكن أنَّ يحقق الشيء الكثير إذا لم يستعين بالتشبيه ، وذلك لأننا كثيراً ما نصادف أشياء كثيرة فنجد أنفسنا مضطرين إلى تقويم بعضها انطلاقاً من البعض الآخر فعندما نقول (خد أحمر كالتفاحة) أو (أنَّه جميل كأدونيس) ، فإننا تعمل على تشبيه وقائع مع بعضها البعض بطريقة تبدو أكثر ميلاً للبرهنة وإعطاء الحجة منها المجرد المشابهة أو المماثلة البسيطة بين الطرفين))[١٢]

وبناء على ذك يمكن أنَّ نعدّ حجاجية الصورة التشبيهية هي طريقة الخطاب الفاعلة تتم بعدة ألفاظ وتوظيف الصورة كأداة للحجاج يمثل قمة الاحتراف للشاعر ويحتاج إلى وعي شعري وخيال ثري يعني أنَّ الصورة تستخدم الحجاج ، وهذه فكرة مدهشة ومن النماذج التي تتمحور فيها فكرة الصورة الحجاجية التشبيهية كثيرة في شعر علي الامارة منها كما نجده في قول الشاعر حيث يقول في قصيدة (أوسمة التراب) التي ذكرها علي الأمارة في رثاء فريق التايكوندو العراقي الذي غدره العدو الغاشم وهو في طريق العودة الى الوطن العراقي حيث يقول فيها الشاعر :

((في تابوت كبير
كأنّه وطن
وضعت البطولات كلّها
جماجم صغيرة
مضيئة
ذهبت لترفع علم العراق حالياً
عراقيون...
من لوعة النخل وصبر الفرات
تساقطوا

مثل أبطال أسطوريين
تحت سارية العلم العملاقة
كنا ننتظر خبرهم
بقلوب تتفسخ من الحزن
نعرف أن دربهم باشط
وصقيل
مثل سكين الإرهاب
التي ذبحت أحلامهم
على عتبة الوطن))[١٣].

ينطلق الشاعر في هذا المقطع بتوظيف آليات الصورة الحجاجية في المقطع ؛ ليشكل النص بأبعاده الحجاجية من خلال التقنيات التي يستعملها في إقناع المتلقي، فتارة يستعمل التشبيه ، وتارة يستعمل الاستعارة في علاقة واحدة وهي المشابهة ، فوظيفة الصورة تقاسمت من خلال تقنياتها ووسائل التعبير(فالتابوت) عبارة عن وطن في صورة يأس ووجع وآلم حتى النخيل يتألم بلوعة وحرقة لعدم الاهتمام وحتى الفرات لم يكن الفرات من قبل في جريانه فبات صابراً محتسباً إذ تساقطوا في اختبار الحياة الاسطورية ، فوجد الشاعر في أسلوب التشبيه وسيلة لتجسيد معاناته فكانت خير وسيلة للتعبير عما كان يقصده ((إذ إنّ الذات الشاعرة تعيش الواقع وتهجس التعبير عنه عاطفة ووجداناً ، هي التي تبدع الغرض البلاغي لأسلوب التشبيه أثر إبداعها لغة التشبيه أولاً))[١٤].

ومن الصور الحجاجية التشبيهية الأخرى كما نجده في قول الشاعر :

((اللامبالاة سرٌّ ما عرفناه
هذه المسافاتُ تعبى والخطى سدرتْ
في غيّها أيُّ درب قد مشيناهُ
هذه هي الخيبةُ الكبرى ونعشقُها
هذا هو الموتُ يبلينا ونهواهُ
انظرْ هنالك هبَّ الموتُ عاصفةً
لو يعلمُ اللهُ .... لكن يعلم اللهُ !))[١٥].

نلاحظ أنّ البنية الحجاجية للصورة تمثلت عبر التشبيه البليغ فالصورة التشبيهية حجاجية في (انظر هنالك هي الموت عاصفة) ، وذلك أنّما جاء بهذه الصورة ؛ لأنّ الشاعر قدّم دليلاً على تغلب الأجواء يوم مجيء ساعة الموت ، وهو بذلك يريد أنَّ يجعل القارئ يرتدع ويهتدي إلى الصواب ، لذا اعتمد على حجاجية الصورة التي تعتبر شاهداً على بناء المشبه به وهو برهان ؛ لأنَّه متفق عليه ، فحجاجية التشبيه هنا أظهر قيمة جمالية للصورة.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٥ – حزيران الأول لسنة ٢٠٢٠

ثانياً :- حجاجية الصورة الاستعارية

تعدَّ الاستعارة إحدى آليات الصورة الحجاجية المهمة التي يعتمد عليها المتكلم من أجل التأثير في المتلقي فهي ((تلك الاستعارة التي تهدف إلى أحداث تغيير في الموقف الفكري والعاطفي للمتلقي))[١٦]، أي أنّها تعني طاقتها في((التأثير على الاذهان والأفهام ، ونوعاً خاصاً من الاستدلال العقلاني ، ومن الفضائل المعرفية والإدراكية))[١٧].

وقد أكد طه عبد الرحمن أنَّ ((الأسلوب الاستعاري أقدر الأساليب التعبيرية على إمداد الخطاب بقوة التفرع والتكاثر فهو أشدها توكلاً في العمل بالآليات التشبيهية التي هي عماد الاستدلال الطبيعي))[١٨]، فهي ((جزء ملتحم بمقاصد الخطاب يسهم في أقناع المتلقي والتأثير فيه فهو عملية ذهنية تفاعلية بين المتكلم والمتلقي يفهم كل منهما مراميها ودلالاتها العميقة))[١٩] ، وذلك لأنَّها تعدَّ ((عاملاً رئيساً في الحفز والحث وأداة تعبيرية ، ومصدراً للترادف وتعدد المعنى ومتنفساً للعواطف والمشاعر الانفعالية الحادة ووسيلة لملء الفراغات في المصطلحات))[٢٠].

فالشكل البلاغي لحجاجية الاستعارة يتم بطريقة ذوقية تجعله يتحلق في أفق الخيال فيعبر عن ذلك بما تكمنه نفسه من مكنونات لأنّها تشكل ((مجال الابداع الذي يهز كيان اللغة او اللسان الثابت والنهائي ،فيضفي على الوحدات اللسانية قيما جديدة ،تضاف إلى قيمها الثابتة وهذه القيم والدلالات الجديدة هي قيم ذاتية لأنَّها تتعلق باستعمال فردي للغة))[٢١].

ومن أبرز الصور التي وظفت الاستعارة كصورة حجاجية قوله :

((**بعيداً**

تدفعك أكفّ التراب

وتشير إليك الأصابع المبتورة

بعيداً تغريك مزاوجة الريح

وتستدرجك نجوم الفجيعة

لم يعد بالإمكان تسميتك نصف اله

بعد أن نهشتك عواءات الأرصفة

وهجرتك الأضرحة))[٢٢].

استهل الشاعر قصيدته بذكره لآلية من آليات الصورة الحجاجية في (تدفعك أكف التراب) استعارة حجاجية فحذف المشبه به هو الإنسان القوي الذي تكمن قوته على ما هو أدنى منه قوة وبأساً وهي استعارة حجاجية جميلة إذ وظف الشاعر آلياته الخطابية المشبوبة بالحجة للمتلقي ليخلق أرصفة الإقناع وتحقيق ما يقرب انفعالاته إلى صورة محسوسة ، فالذي تدفعه أكف التراب التي لا تمثل قوة هائلة فدليل على الوهن والضعف ، فالمتلقي عندما يمزج هذه الصورة بمختزلاته الذهنية سيحقق له صورة الإقناع ، فأكف التراب التي لا تدفع إلاَّ ما هو دونها ، فقدرة (أكف التراب) واكتسابها القوة على الدفع لم ينتج إلا على حساب وهن، وضعف المدفوع ،وتلك التفاتة رائعة للشاعر من توظيف الاستعارة في عتبة الحجاج والإقناع .

ومن الصور الأخرى :

داست على شمس ماضينا القطارات وأوغلت في مآقينا المزارات

في غفلة من زمان أخرس سرقت عيوننا فاستباحتنا المسارات

على الرفوف لياليا مكدسة لقد تخليت عنا يا نهارات

مكائد الرمل للأعماق تدفعنا من اين نخرج يا هذي المدارات ؟

تساقطت حولنا الأيام يابسة من سدرة الصمت هل تجدي الحوارات ؟

خدعتنا أيها الأسمنت في سفر فكم لهذا الثرى فضت بكارات [٢٣]

إنّ((الصناعة الحجاجية لا توظف آلية واحدة في الخطاب الواحد ، وإنّما يحقق الخطاب النتيجة بتظافر عدد من الآليات الحجاجية ، واللغة حجاجية بطبعها... فإذا كان للصورة التشبيهية الحجاجية في هذا الخطاب أقوى الحجج ، وربما نعدها الحجة المحورية ، فأنَّ هناك آليات حجاجية أخرى كان لها دور حجاجي ، ولكننا ننزلها منزلة الفرع من الأصل ، فهي آليات مساعدة ومكملة للصناعة الحجاجية))[٢٤]، وكما نجد بذلك في هذا المقطع التي جاءت فيه الأبيات توصف الواقع المعيش والحال فيها عبر حجاجية الاستعارة التي بدت واضحة في (زمان أخرس) حيث شبه الزمان بالإنسان الأخرس عبر الاستعارة المكنية ، وما تضمنته من أبعاد دلالية ، وقد عمد الشاعر في ذلك بين دلالة الرمز في الرمل هل هو رمز للصحراء ام أنَّه الرمل واقعياً ... لكن القوة التعبيرية فيه تتواشج مع لفظة (مكائد) إذ يكونان جملة استعارية تعلن الإيغال في التورط والانزياح نحو الغياب والضياع ليرد بعداً دالاً حجاجي مباشر وواضح وهو من خلال بنيته الفنية التي تتضح فيه ، فالشاعر اثبت واقعاً ما حدث لمدينة خمسميل بعد ذلك دعم خطابه وشكواه باستفهامات تقريرية جعلت الحجاج أكثر واقعية ،وفي ضوء تراكم الصور المتوغلة في هذا المقطع الشعري والتي كانت بمثابة نقطة الانطلاق للشاعر في تحريك خيال المتلقي بوصف حجاجية الصورة الاستعارية بأنها ((ليست

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٥ – كانون الأول لسنة ٢٠٢٠

حركة في الألفاظ وأنا هي حركة في المعاني والدلالات وهي ليست بديعاً بل هي طريقة من طرق الأثبات الذي يقوم على الادعاء))[٢٥]، وبذلك حقق الحجاج دوره في الإقناع في نفس المتلقي .

حيث يقول الشاعر :

((زجاجة زمني في القلب تنكسر
كيف يفلت من كفيك يا قدر
وكيف أنظر من موتي إلى افقي
وزئبق الوقت في عيني ينهمر
أوقظ النفس في اللحظة الغامرة
وأشعل ذات المواويل
ذات الرؤى عبر كلّ الخطى العاثرة))[٢٦]

تكمن حجة الاستعارة في الكشف عن ماهيات الإبداع الجمالي لاستعمال الاستعارة في كونها تمكن القارئ أو المتلقي من استنتاج المقصود من الاستعارة وذلك من خلال ((أن احكام القيمة التي تتضمنها الاستعارات أقل التباساً من غيرها ، أنَّها أقرب إلى الفهم ولو كانت أصعب كثيراً في التحليل ، ولهذه الصعوبة كان الدحض أشد عسراً ، ولكنها تزيد الاستعارة الحجاجية قوة))[٢٧]، ونرى أنّ اكثار علي الإمارة من استعانته للاستعارة يوحي بالثراء الإبداعي الفنان وأنَّها وسيلة مهمة يستعين بها الشاعر لغرض جلب انتباه المتلقي وإملاء فكره بالإقناع فجعل منها أساس انطلاق في هذا المقطع فقد استجلب الاستعارة المكنية في قوله (كفيك يا قدر) إذ جعل للقدر كفين عبر حذف المشبه به وترك لازمة هي (الكف) فالشاعر يحس أن الزمن يتحول إلى شظية من زجاج تنهش في قلبه ، ويتعجب كيف يستطيع الآفلات من القدر من الألم اذا كان سببه في قلبه ، فيشعر بأنّه في برزخ بين الحياة والموت فهو يستطيع أن يتكلم ، أي مازال حياً ، لكنه يتساءل كيف يستطيع النظر إلى الزمن الهارب ؟ وهو يفلت من بين يديه ، يتمكن الشاعر المتكلم من إيقاظ روحه وسحبه إلى عالم الحياة في اللحظة الزمنية الحية فتشتمل المواويل وتنبعث البهجة وتنتعش الرؤى .

وأيضاً نجد الصورة الاستعارية في هذا المقطع حيث يقول فيه الشاعر :

((أنا لا أخافُ أمريكا
أمريكا شجرة بلا جذور
وحتى عندما تلتف عليّ
أغصانها الوحشية
وحين تقطعُ أوراقي
وأغصاني أنيابها
سأحاربها بجنوني
جذوري
العاليةِ أبداً)) [٢٨].

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٥ – كانون الأول لسنة ٢٠٢٠

الشاعر هنا يتكلم بلسان المفرد (أنا لا أخاف أمريكا) والقصد الذي أراده لسان الجمع ، أي نحن أمة لا نخاف امريكا لأنها (شجرة بلا جذور) ، وهنا برزت الاستعارة كملمح حجاجي والوظيفة الحجاجية له أنّه أراد أنَّ يوضح أننا العرب الأصل وأمريكا ليس لها أصل بل ليس لها تاريخ ونحن نمتلك ذلك التاريخ العريق ، وأردف قوله بحجج أخرى قوية جعلت المعنى يصل إلى مبتغاه الفني فنجده في (وحتى عندما تلتف علي اغصانها الوحشية) ، أي شبّهها بالأفعى لكنّه لم يصرح بذلك واكتفى بالتورية وهذا من فوائد البلاغة ، وأما في قوله (وحين تقطع أوراقي وأغصاني) وهنا يجب الالتفات إلى أنَّ الشاعر شبه أمريكا بالكائن المتوحش الذي يقطع كل شيء عبر أسلوب الاستعارة المكنية ،ومن جميل ما يجب الالتفات إليه أنَّ الشاعر جعل أنيابها بعد أغصاني ، وهذا يوحي بحجته القوية التي تتبلور في قوة العدو لكن في ختام القصيدة استطاع الشاعر أن يحارب تلك الأنياب الوحشية بإرث الحضارة العريقة العالية في مسار التأريخ ، وليس بالقوة مقابل القوة ، ومن هنا يتبين لنا أنّ الاستعارة هي ((من الوسائل اللغوية التي يستعملها المتكلم للوصول إلى أهدافه الحجاجية ، بل إنّها من الوسائل التي يعتمدها بشكل كبير جداً ، ما دمنا نسلم بفرضية الطابع الجازي للغة الطبيعية ، وما دمنا نعتبر الاستعارة أحدى الخصائص الجوهرية للسان البشري))[٢٩] .

ثالثاً : حجاجية الصورة الكنائية

تعد الكناية من((آليات ووسائل الحجاج البلاغية إذ تؤدي إلى إثارة الذهن وإعمال العقل من أجل الحصول على المعنى المراد إيصاله من طرف المرسل))[٣٠] .

وتكمن حجاجية الكناية في ((كونها لا يمكن الاكتفاء فيها بالمعنى الحقيقي المصرح به، بل تبعث المتلقي على تدبر المفهوم الذي هو المعنى اللازم ، وتوجيهه نحو استنتاج المكنى عنه بنفسه ، وأنّ ما استنتجه المتلقي بنفسه لا يستطيع أن يعترض عليه ، ولا يسعى لتخطئة تصوره ، وبالتالي يقتنع فضلاً عن كونها تعطي الحقيقة مصحوبةٌ بدليل))[٣١] .

ومن شواهد ذلك قول الشاعر:

كم احتملنا عذابات مؤججة
بخالص الود لا ذل ولا ملق
وكم مشينا وعشق الارض يحملنا
ممزقين ولا يلوى لنا عنق
فكيف كل دروب العشق تنكرنا
ونحن أول من هاموا ومن عشقوا
نحن انتمينا الى تاريخنا بدم
وأخرون على تاريخهم بصقوا[٣٢]

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٥ – كانون الأول لسنة ٢٠١٠

الشاعر هنا يطرح قضية مهمة لكل مواطن ، وهي قضية الانتماء للوطن حيث يظهر الاستدلال والبرهان واضحاً من خلال حجاجية الصورة الكنائية في إبراز ما خفي في النفوس ، حيث قام الشاعر بعقد مقارنة من خلال الكناية لأولئك الأشخاص ، فهو يقارن بين الانتماء الوطني من عدمه ، فيرى أنّ هناك صنفاً من الرجالِ ينتمي لما فيه من خلال التضحية بالدم ، أما الصنف الآخر فعندما ينظر إلى تاريخه الأسود الذي يخلو من التضحية والعزة ولا يجيد الا البصق على ذلك التاريخ المخزي للأفراد والجماعات الذين انضموا إلى هذا الصنف ، وبذلك أستطاع الشاعر في رسم هذه الصورة الكنائية أن يحرر((الكلمة من ضيق الوضعية إلى رحابة الاستعمال))[٣٣] .

وأيضاً تبرز حجاجية الكناية في قوله :

يا أيها المتجلي مثل قافلة
من الملامح اطلق وجهك الغدقا
قرب يديك إلى قلبي تجد وطني
تجد دمي بثراه الحر ملتصقا
حدق بوجهي تر التاريخ منتفضا
وانظر لجرحي ترَالطوفان منبثقا
موائد من عذابات وأشرعة
من الذهول على الماء الذي احترقا[٣٤]

جاء الخطاب الشعري هنا عبارة عن بنى حجاجية حيث لاتكاد عبارة تخلو برهان أو استدلال ،لتؤدي وظيفة الإقناع لدى المتلقي ،واثارته وجعله متفاعلاً مع أفكاره ، وترسيخ الفكرة في ذهنه حتى يؤدي به إلى تحقيق مطالبه الحجاجية ؛ لانّها ((تعطي الخطاب معنى وجمالاً وتأثيراً في نفوس المتلقين وجعلهم يبحثون عن ذلك المعنى الذي أراده صاحب الخطاب))[٣٥] ، وأولى صوره الحجاجية الكنائية تمثلت في (اطلق وجهك الغدقا) احتج بها عن اليأس والبخل فجعلها كناية عن التفاؤل والخير والعطاء والسماحة ، فتمثل التصوير الحجاجي هنا بالتمسك بالأمل والابتعاد عن اليأس، وزاد ذلك بحجة أُخرى في قوله (قلبي بعد وطني) ، فهي كناية عن الحب والألفة والاتساع،فهنا الحجة قائمة على مسلك وطني محب لوطنه، وفي (انظر لوجهي تر الطوفان منبثقا) فهي كناية عن العمق التاريخي ، والإنساني المنبثق في وجه فترى فيه ذلك التاريخ المفعم بالانجازات ، وهذا برهان عراقة الحضارة ،وقد جاءت كل هذه الصور الكنائية بتوافر براهينها وحججها المنطيقة التي أثرت في نفسية المتلقي بموجة قوية عالية من البراهيين .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٥ – كانون الأول لسنة ٢٠٢٠

وتظهر حجاجية الصورة الكنائية في قوله :

صمتٌ يبعثرنا في كل ناحية
ومالنا عن جحيم البوح منصرفُ
تسموا بنا القبّةُ الصفراء شامخةً
فيكتوينا زمان كله صلف
ماذا سنحصل من أشجار طيبتنا
وقد تفتح فيها الحزن والأسف
ونخلة العمر في أعناقنا سُلبت
تجنى ويرمى علينا الغبن والحشف
ونستظل بها رغم الضياع أسى
فالجذر منا ومنا الكد والسعف (٣٦)

يرسم النص ملامح الصورة الحجاجية (ونخلة العمر في أعناقنا سلبت) كناية عن نسبة فالصفة والموصوف كلاهما موجودان في البيت كناية عن الإنسان المسلوب حقه أو يعمل ولا يستفيد من عمله فالحجة في وظيفتها الحجاجية هي تصوير حالة إنسانية واجتماعية وضرورة الالتفات إليها كونها حجة على رفع مستوى التقدم، فالطاقة الحجاجية للنص جاءت متوافقة مع العقل والإقناع لدى المتلقي فالشاعر عبر عن حالة الانكسار والهوان التي جرت للناس وجاء ذلك التعبير مكتنزا بالحجج والبراهين ؛ لأنَّه ((يعطيها دوراً كبيراً في جذب السامع وتحريك خياله حتى يستوعب الأفكار والصورة المقدمة إليه))(٣٧)، وفي ضوء ذلك يتضح سر حجاجية الصورة الكناية في جوهرها الفني بأنّها آلية ((تعبيرية وبنائية ، تسعى إلى أثراء الأداء الفني وترقيته باستمرار ، وأنّه كلما اتسعت مجالاتها ... تعمقت العلاقة التعبيرية وأبتعد الشاعر عن المباشرة والسطحية ...))(٣٨) .

ومن خلال ذلك يتضح دور الصورة البيانية على ضوء تعالقها واتصالها مع الصورة الحجاجية ليس لأي شيء أنما لهدف محدد للكشف عن الدلالات المتوخاة من الصور البيانية من خلال الصورة الحجاجية إذ الهم الأول عندها هو تحقيق الرغبة في الإقناع (٣٩).

خلاصة البحث

وبناء على ما جاء في هذا البحث توصلنا إلى :

١) إنّ الغرض الأساس والفني من حجاجية الصورة هو الإقناع في ضوء الاعتماد على الفنون البيانية التي شكلت الصورة في جمالياتها الفنية بشكل أساس .
٢) للصورة التشبيهية قدرة هائلة على الإثارة والإمتاع لدى مبدع النص ومتلقي النص ، لذا جاء بهذا العنصر البلاغي كونه يعد المبالغة مصدراً له لغرض أثارة عملية التلقي والافهام للمتلقي.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٥ – كانون الأول لسنة ٢٠٢٠

٣) أما الصورة الاستعارية فشكلت طاقتها الحجاجية من خلال عملية الانتقال مما هو معنوي إلى ما هو محسوس ، وهذه ميزة تميزت بها عن غيرها من الصور البيانية، إذ تعد عملية الانتقال فكرة الاستعارة الدقيقة ومحورها الأساس للتشكيل الصورة الاستعارية.

٤) في حين كمنت قيمة الصورة الكنائية في كونها عنصراً غير مصرح به قائم على الإيحاء ويعمل على تحريك الفكر والإبحار في الخيال فتقوم على مبدأ الإغراء في الكشف عما هو مستنبط من أفكار في النصوص .

٥) قدم علي الإمارة كثيراً من الحجج وحاول فيها إثارة متلقيه في ضوء وصف وسرد تجربته في الحياة ، وما تعرض له محيطه من حواداث على نحو ما أصاب مدينة (خمسميل) ، لذا يمكن عدّ هذا الوصف إثارة لعواطفه اتجاهها .

هوامش البحث

---

(١) البنية الحجاجية في كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، أطروحة دكتوراه ، الطيب رزقي ، جامعة الأخوة –قسطينة ، الجزائر، ٢٠١٦–٢٠١٧م : ٨٣ .

(٢) المصدر نفسه : ٨٤.

(٣) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، د. طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي ، ط١، ١٩٩٨م :٢٣٢.

(٤) المصدر نفسه .

(٥) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب :١٣٣

(٦) ينظر حجاجية النص الشعري العربي القديم ، معلقة الحارث بن حلزة اليشكري مثالا ، د. عرفات فيصل المناع: ٣٠٦.

(٧) الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه ، .د . سامية الدريدي ، عالم الكتب الحديث ، اربد – الأردن ، ٢٠١١، ط٢: ١٢١.

(٨) الصورة الحجاجية في ضوء البلاغة الجديدة ، د. جميل حمداوي ، دار الريف للطبع والنشر والتوزيع ، ط١، تطوان–المملكة المملكة المغربية، ٢٠١٩م: ٧١.

(٩) الأبعاد الحجاجية للصورة البيانية في الخطاب النبوي الشريف، علي بعدش ، مجلة العلوم الاجتماعية ، ع ٢٤، جوان ٢٠١٧ م :١٥١.

(١٠) نقد الشعر :٥٨.

(١١) حجاجية التشبيه عند البلاغيين والفلاسفة العرب حتى نهاية القرن الخامس للهجرة ، أ. م سعاد بديع مطير ، الباحثة حوراء حامد حسن ، أبحاث اللغة العربية ، لأرك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية ،مج ٢ ،ع ٣٢: ١٠.

(١٢) حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الامام علي ،كمال الزماني ، عالم الكتب الحديث ، د. ط ، الأردن، ٢٠١٢م: ٢٦.

(١٣) حواء تعد اضلاع ادم :٦٠–٦١.

(١٤) نظرية البيان العربي ،د. رحمن غركان ، دار الرائي ، دمشق، ط١، ٢٠٠٨ م: ٢٤٠–٢٤١.

(١٥) أبو ذيات ومولات بالفصحى وقصائد أخرى :٧٦.

(١٦) استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية ، عبد الهادي ظافر الشهري، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، ط١، ٢٠٠٤م : ٤٩٥.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٥ – كانون الأول السنة ٢٠٢٠

(١٧) حجاجية المجاز والاستعارة ، حسن مودن ، مقال ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ، ج٣ ، ١٥٦: ١٦٦

(١٨) اللسان والميزان : ٢٩٥.

(١٩) الوظيفة الحجاجية لإستعارة في الخطاب القرآني ، السور المكية أنموذجا، د. أحمد غالب الخرشة ،جامعة العلوم الاسلامية العالمية – الاردن :١٣٥.

(٢٠) الأدبي الحديث الابعاد والمعرفة والجمالية ، د. يوسف أبو العدوس ، الاهلية ، الاردن، ط١، ١٩٩٧: ٧.

(٢١) البلاغة وتحليل الخطاب ،حسين خالفي ، دار فارابي ، بيروت _لبنان ، ط١، ٢٠١١م : ٢٠٠.

(٢٢) مواقد الماء :٥٦.

(٢٣) لزوميات خمسميل :٦٤.

(٢٤) البنية الحجاجية : ١٢٠.

(٢٥) بلاغة الخطاب الاقناعي ، حسن مودن ، دار كنوز المعرفة ، عمان ، ط ١، ٢٠١٤م : ٢٥٠.

(٢٦) مواقد الماء : ٣٤.

(٢٧) الاستعارة والحجاج ، ميشيل لوجيرن ، مجلة المناظرة ، المغرب ، ع ٤، ١٩٩١ م : ٨٨.

(٢٨) أماكن فارغة: ١٥.

(٢٩) اللغة والحجاج ،أبو بكر العزاوي ، العمدة في الطبع ، الدار البيضاء ، ط١، المغرب، ٢٠٠٦م : ١٠٥.

(٣٠) الحجاج عند ميخائيل نعيمة الغربال أنموذجاً ، (رسالة ماجستير)، للزوهيرة محده ، وسهام سرادي ، جامعة الشهيد حمّه لخضر الوادي ، الجزائر ، ٢٠١٧-٢٠١٨ م : ٥٦.

(٣١) الأبعاد الحجاجية للصورة البيانية في الخطاب النبوي الشريف : ١٥٩.

(٣٢) أبو ذيات ومولات بالفصحى وقصائد أخرى:١٣٠.

(٣٣) مختارات شعر الحماسة بين أبي تمام والبحتري:١٩٢ .

(٣٤) مواقد الماء : ٤٣-٤٤ .

(٣٥) الحجاج في شعر المتنبي دراسة في الفاعلية الحجاجية ، عباس حسن الطَّيار ،مجلة جامعة بابل العلوم الإنسانية ، مج ٢٦، ع ٥، ٢٠١٨م: ٢٦٦-٢٦٧.

(٣٦) أبو ذيات ومولات بالفصحى وقصائد أخرى :١١١-١١٢.

(٣٧) الحجاج في البلاغة المعاصرة ، بحث في بلاغة النقد المعاصر ، محمد سالم محمد امين الطلبة ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، بيروت –لبنان ،ط١، ٢٠١٠م : ١٣٦.

(٣٨) مستويات الأداء الدرامي عند رواد شعر التفعيلة ، د. عزيز لعكاشي ، عالم الكتب الحديث ، ط١، أربد – الأردن ، ٢٠١٠م : ١٠٥.

(٣٩) ينظر: لسانيات النص (مداخل نظرية مع دراسة اجرائية في كتاب طوق الحمامة لابن حم الأندلسي ، سعد سرحت: ٢٩٤ .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٥ – كانون الأول لسنة ٢٠٢٠

قائمة المصادر

١) البلاغة وتحليل الخطاب ، حسين خالفي ، دار فارابي ، بيروت _لبنان ، ط١، ٢٠١١م .

٢) الأبعاد الحجاجية للصورة البيانية في الخطاب النبوي الشريف ، علي بعدش ، مجلة العلوم الاجتماعية ، ع ٢٤، جوان ٢٠١٧ م .

٣) أبو ذيات ومولات بالفصحى وقصائد أخرى ، علي الأمارة ، صدر عن مؤسسة الغدير ،٢٠١٥م.

٤) استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية ، عبد الهادي ظافر الشهري ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، ط١، ٢٠٠٤م .

٥) الاستعارة في النقد الأدبي الحديث الأبعاد والمعرفة والجمالية ، د. يوسف أبو العدوس ، الأهلية ، الأردن ، ط١، ١٩٩٧م .

٦) الاستعارة والحجاج ، ميشيل لوجيرن ، مجلة المناظرة ، المغرب ، ع ٤، ١٩٩١ م .

٧) أماكن فارغة ، علي الأمارة ، شعر، صدرعن اتحاد الأدباء العرب ٢٠٠١م .

٨) بلاغة الخطاب الاقناعي ، حسن مودن ، دار كنوز المعرفة ، عمان ، ط ١، ٢٠١٤م .

٩) البنية الحجاجية في كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، اطروحة دكتوراه ، الطيب رزقي ، جامعة الأخوة – قسطينة ، الجزائر، ٢٠١٦-٢٠١٧م .

١٠) الحجاج عند ميخائيل نعيمة الغربال انموذجا،(رسالة ماجستير)، للزوهيرة محده ، وسهام سرادي ، جامعة الشهيد حمّه لخضر الوادي ، الجزائر ، ٢٠١٧-٢٠١٨ م .

١١) الحجاج في البلاغة المعاصرة ، بحث في بلاغة النقد المعاصر ، محمد سالم محمد امين الطلبة ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، بيروت –لبنان ،ط١، ٢٠١٠م .

١٢) الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه ، د . سامية الدريدي ، عالم الكتب الحديث ،ط٢، اربد – الأردن ، ٢٠١١م.

١٣) الحجاج في شعر المتنبي دراسة في الفاعلية الحجاجية ، عباس حسن الطَّيار ، مجلة جامعة بابل العلوم الإنسانية ، مج ٢٦، ع ٥، ٢٠١٨م.

١٤) حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي ، كمال الزماني ، عالم الكتب الحديث ، د. ط ، الأردن، ٢٠١٢م.

١٥) حجاجية التشبيه عند البلاغيين والفلاسفة العرب حتى نهاية القرن الخامس للهجرة ، أ. م سعاد بديع مطير ، الباحثة حوراء حامد حسن ، أبحاث اللغة العربية ، لأرك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية : مج ٢ ،ع ٣٢ ، جامعة واسط ، ٢٠١٩.

١٦) حجاجية المجاز والاستعارة ، حسن مودن ، مقال ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ،دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة ، اعداد وتقديم حافظ اسماعيلي علوي ، الحجاج وحورا التخصصات ، عالم الكتب الحديث ، ط١ إربد –الأردن ، ٢٠١٠م .

١٧) حجاجية النص الشعري العربي القديم ، معلقة الحارث بن حلزة اليشكري مثالاً ، د. عرفات فيصل المناع ،مجلة دراسات البصرة ، السنة الحادية ، ع ٢١ ، جامعة البصرة ، كلية الآداب ، العراق ، ٢٠١٦ م .
١٨) حواء تعد اضلاع ادم علي الامارة ،شعر صدر عن مؤسسة النخيل ، البصرة ، ٢٠٠٨ م .
١٩) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، تحقيق : محمود محمد شاكر أبو فهر، مكتبة الخانجي ، ط٥ ، ٢٠٠٤م .
٢٠) الصورة الحجاجية في ضوء البلاغة الجديدة ، د. جميل حمداوي ، دار الريف للطبع والنشر والتوزيع ، ط١، تطوان- المملكة المملكة المغربية ، ٢٠١٩م.
٢١) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، جابر عصفور، دار المعارف ، القاهرة ،١٩٨٠ م .
٢٢) لزوميات خمسميل ، علي الأمارة ، صدر عن اتحاد الادباء العرب،٢٠٠٣م .
٢٣) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، د. طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي ، ط١، ١٩٩٨م .
٢٤) لسانيات النص (مداخل نظرية مع دراسة اجرائية في كتاب طوق الحمامة لابن حم الأندلسي ، سعد سرحت، ط١ ،٢٠١٦م .
٢٥) اللغة والحجاج ، أبو بكر العزاوي، العمدة في الطبع ، الدار البيضاء ، ط١، المغرب، ٢٠٠٦م .
٢٦) مختارات شعر الحماسة بين أبي تمام والبحتري (خصائص الأساليب ومعايير الاختيار) ، د. أحمد صالح النهمي ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، ط١، عمان ، ١٤٣٧هـ -٢٠١٦م .
٢٧) مستويات الأداء الدرامي عند رواد شعر التفعيلة ، د. عزيز لعكاشي ، عالم الكتب الحديث ، ط١، أربد -الأردن ، ٢٠١٠م .
٢٨) مواقد الماء ، علي الأمارة ، شعر، مطبعة السكرية ، ط١، ٢٠١٨م .
٢٩) نظرية البيان العربي ، د. رحمن غركان ، دار الرائي ، دمشق، ط١، ٢٠٠٨ م .
٣٠) نقد الشعر، قدامة بن جعفر تحقيق عبد المنعم الخفاجي ، دار الكتب العلمية، د.ط ، بيروت – لبنان د.ت.
٣١) الوظيفة الحجاجية لاستعارة في الخطاب القرآني ، السور المكية أنموذجاً ، د. أحمد غالب الخرشة ، جامعة العلوم الاسلامية العالمية – الأردن .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٥ – كانون الأول السنة ٢٠٢٠